مع العنف تماما كما نموت مع جلدي . لقد ازدهر العنف والموت في تقارب وثيق لكل لحظة ، لكل لقاء ، في حياتي . وحتى وانا طفل كنت اتعلم ، عن العنف الذي يستطيع التاريخ ان ينزله في الروح ، في الايمان في عقلانية الآن او الحياة الاخروية .

كان العنف في شكليه النفسي والمادي دائما يسيطر على حياتي . ومع هذا ففي تلك الفترات الهادئة التي اختبرتها احيانا ، وجد داخلي ، على طول ذكرى الألم والدمار ، شعور محبة قويا الى الحد ذاته ، تأكيد على امكانية العدالة والحرية الانسانية،حارما العنف من احتكار النفس . وحتى كفتى في الثامنة من عمري ، يوجد لدي ذكريات تركتها **ورائي** . ذكريات على السير والراحة والسير على طول طريق الساحل الى الحدود اللبنانية سعيا وراء ملجأ . وامرأة فلاحة تضع مولودا على قارعة الطريق . والام مخاضها تجعلها تطلق اصواتا طيفية . وامي بسبحة صلاتها تتوسل الالهة ان تسهل الطريق . وعلى الطريق ينضم الينا مشردون وتائهون من حيفا او عكا او مدن ساحلية اخرى ، وجميعهم يسيرون في نفس الاتجاه .شقيقتي لا تتجاوز الثانية من عمرها ، فتأخذ امي شالها وتربطه في عقد حول ظهرها وكتفيها وتضع اختي الطفلة هناك . وعندما نمر بالمستوطنات الصهيونية ، يسير الجميع باتجاه مستقيم ، ناظرين امامهم ، وكأننا بفعلنا ذلك لن يرانا ولن يطلق الرصاص علينا احد .**ماهي هذه المستوطنات ؟ من هم الناس الذين يعيشون فيها ؟ لماذا اختاروا بلادنا ليأتوا اليها ؟ من هم هؤلاء الناس ... ؟ من هم ؟**

قبل ذلك بسنة ، في القرية التي كنا نعيش فيها ، اظل انكر ... كيف نسف البيت وفرت منه العائلة . جسد المرأة يحترق وكانت تتمسك بوسادة وهي تركض . اسمع صرخة . في الغرفة تلك الليلة الجميع ينهضون . وشقيقي البكر يحمل بندقية ويغادر بسرعة . وصوت نيران الأسلحة يرتفع ... يقترب ... والحيوانات في القرية تركض فالتة ، في الدروب الوسخة ، وراء المنازل . و« اللجنة من اجل الدفاع عن بلد الشيخ » تصدر التعليمات فيما السماء تمطر النيران على قريتنا . ربما الله في سمائه قد جن . **انهم هنا من جديد** . ما يزال الوقت ليلا في الغرفة وامي تتلو ايات من القرآن . **ان عصابة شتيرن هنا من جديد** . وثمة نوع من الجنون في الكلمات القرآنية فيما تتلوها امي . ويطمسها صوت اطلاق الرصاص ثم اسمعهم من جديد ، عاليا ، بشكل محموم ، عندما تكون هناك فجوة ، صمت قصير ، فيما يتوقف اطلاق النار . **انهم هنا ... من هم هؤلاء الناس ... انهم يأخذون وطننا .**

تركنا القرية ونزلنا لنقيم في المدينة مع جدي وعمي . كان جدي يعمل في مرفأ حيفا مع « هيئة المرفأ البريطانية » ... ومع المقاومة السرية . وكان كل ليلة يعود الى البيت ببنادق يهربها من بوابات المرفأ ويأتي بها الى البيت الى عمي . بنادق كان يسرقها من المكاتب التي يعمل فيها . بنادق يشتريها من جنود بريطانيين سكارى . بنادق تشترى من على سفن صديقه قادمة من بيروت واللاذقية او الاسكندرية .

وكان عمي وشقيقي يغيبان عن البيت اياما عدة . كانوا يسمونهم مجاهدين في تلك الايام . وجيلي ، بعد ذلك بعقدين ، صار يعرف بالفدائيين . لكن كل شيء كان يحتضر . كانوا البقية ... غير المنظمة والوحيدة ... لثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ .